

الفصل السابع الرَّضَاعَةُ الطَّبِيعِيَّةُ

المبحث الأول

الرَّضَاعَةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

قال الله ﷻ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَالْقَوْلُ اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة]

قال ابن كثير رحمه الله: « هذا إرشاد من الله ﷻ للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة وهما (سنتان)، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك، ولهذا قال: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾.

وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين، فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءُ فِي النَّدْيِ، وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ]^(١) (٢).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، برقم (١١٥٢)، وقال حسن صحيح، وصححه الألباني، وكذا أحمد شاكر في تعليقه على السنن.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١/٦٣٣).

وقال سيد قطب رَحِمَهُ اللهُ : « إن على الوالدة المطلقة واجباً تجاه طفلها الرضيع، واجباً يفرضه الله عليها ولا يتركها فيه لفطرتها وعاطفتها التي قد تفسدها الخلافات الزوجية، ويقع الغرم على هذا الصغير. إذن يكفله الله ويفرضه له في عنق أمه، فالله ﷻ أولى بالناس من أنفسهم، وأبرّ منهم وأرحم من والديهم، والله يفرض للمولود على أمه أن ترضعه حولين كاملين؛ لأنه ﷻ يعلم أن هذه الفترة هي المثلث من جميع الوجوه الصحيّة والنفسية للطفل. ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] .

وتثبت البحوث الصحيّة والنفسية اليوم أن فترة عامين ضرورية لينمو الطفل نمواً سليماً من الجهتين الصحيّة والنفسية، ولكن نعمة الله ﷻ على الجماعة المسلمة لم تنتظر بهم حتى يعلموا هذا من تجاربهم، فالرّصيد الإنسانيّ من ذخيرة الطفولة لم يكن ليترك يأكله الجهل، كل هذا الأمد الطويل، والله ﷻ رحيم بعباده، خاصة بهؤلاء الصغار الضعاف المحتاجين للعطف والرعاية» (٣).

ويقول الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ تعليقاً على قول الحق ﷻ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ « لقد قامت في أوروبا وأمريكا حملات كثيرة ضد الرّضاعة الطبيعيّة، وطالبوا الناس باستخدام اللبن المجفّف والمصنوع كيميائياً بدلاً من لبن الأم، وكان ذلك في نظرهم نظاماً أكمل لتغذية الطفل، ثم بعد ذلك ظهرت أضرار هائلة على صحّة الطفل ونفسية من عدم رضاعته من أمه، واضطر العالم كله إلى أن يعود إلى الرّضاعة الطبيعيّة

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب (١/٢٥٣).

وبحماسة بالغة، هل فعلوا ذلك تصديقاً للقرآن الكريم أم لأنهم وجدوا أنه لا حلّ لمشكلاتهم إلا بالرجوع إلى الرّضاعة الطّبيعيّة؟» (٤).

قال في التفسير الوسيط: «المراد بالوالدات الأمّهات سواء أكن في عصمة أزواجهن أم مطلقات؛ لأن اللفظ عام في الكل، ولا يوجد ما يقتضي تخصيصه بنوع من الأمّهات ... وحولين؛ أي: عامين. والحول: السنّة اعتباراً بانقلابها ودوران الشمس في مطالعها ومغاربها. قال ﷺ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾».

وعبر عن الأمّهات بالوالدات، للإشارة إلى أنهن اللاتي ولدن أولادهن، وأنهن الوعاء الذي خرجوا منه إلى الحياة، ومنهن يكون الغذاء الطّبيعي المناسب لهذا المولود الذي جاء عن طريقهن.

وقوله: ﴿يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ جملة خبريّة اللفظ إنشائيّة المعنى؛ إذ التقدير لِيُرْضَعْنَ؛ أي: عليهن إرضاع أولادهن.

وَعَبَّرَ عَنِ الطَّلَبِ بِصِيغَةِ الْخَبَرِ؛ للإشعار بأن إرضاع الأم لطفلها عمل توجهه الفطرة، وتنادي به طبيعة الأمومة.

قال الجمل: «وهذا الأمر للنّدب وللوجوب، فهو يكون للنّدب عند استجماع شروط ثلاثة: قدرة الأب على استئجار الموضع، ووجود من يرضعه غير الأم، وقبول الولد لبّْن الغير، ويكون للوجوب عند فقد أحد هذه الشروط».

وليس التحديد بالحولين للوجوب، لأنه يجوز الفطام قبل ذلك، بدليل قوله: لمن أراد أن يُتِمَّ الرّضاعة، وإنما المقصود بهذا التحديد قطع التنازع بين

(٤) تفسير الشعراوي، (٨/٥٠٥٦).

الزوجين إذا تنازعا في مدّة الرّضاع، فإذا اتّفق الأب والأم على أن يقطّعا ولدهما قبل تمام الحولين كان لهما ذلك إذا لم يتضرّر الولد بهذا الفطام، وإن أراد الأب أن يقطّعه قبل الحولين ولم ترض الأم أو العكس لم يكن لأحدهما ذلك.....

وفي هذه الجملة الكريمة: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ بيان لمظهر من مظاهر رعاية الله ﷻ للإنسان منذ ولادته، بل منذ تكوينه في بطن أمه جنيناً، فقد أمر - سبحانه - الأمّهات أن يقمن بإرضاع أولادهن في تلك المدّة؛ لأن لبن الأم هو أفضل غذاء لطفلهما في هذه الفترة، وأسلم وسيلة لضمان صحته ونموه، ولصيانته من الأمراض النّفسية والعقلية، فقد أثبت الأطباء الثّقة أن الطّفل كثيراً ما يصاب بأمراض جسميّة ونفسية وعقلية نتيجة رضاعته من غير أمه، كما أثبتوا أن عناية الأم بطفلهما في هذه الفترة عن طريق إرضاعه ورعايته، تؤدى إلى تحسن أحواله» (٥).

* معجزات ودلالات :

(١) في قول ربنا ﷻ: ﴿وَالْوِلْدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ : دليل على أن الأولوية في رضاعة المولود هي لأمّه التي ولدته، وذلك لأن الدّراسات المختبرية أكّدت أن تفاصيل التركيب الكيميائي لألبان النساء يختلف من امرأة إلى أخرى.

وهذا له تأثيره على نمو الوليد واتزانه العاطفي والنفسي، وأن الجهاز الهضمي للرضيع مهياً أفضل تهيئة لهضم وامتصاص لبن أمه التي ولدته.

(٥) التفسير الوسيط للقرآن الكريم محمد سيد طنطاوي ، (١/ ٧٢٥).

(٢) ويفهم من النص الكريم أن الوالدات لسن فقط اللائي ولدن، ولكن تنزل المرضعة منزلة الوالدة فتصبح كل مرضعة والدّة، مع بقاء الأولويّة في الرّضاعة للأمّ التي ولدت، ولما كانت المرضعة والدّة كانت الحرمة من الرّضاعة في الحولين الأولين من عمر الرّضيع لقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [يَحْرُمُ مِنَ الرّضاعة مَا يَحْرُمُ مِنَ الْوِلَادَةِ] (٦).

وقد أثبتت الدّراسات العلميّة أن تأثير الرّضاعة على المولود طوال العامين الأولين من عمره في بناء جسده، وتكوين جهازه المناعي، وتشكيل شيء من صفاته الشخصية والوراثيّة ما يبقى معه إلى آخر عمره، ويبلغ من خطورته أنه يحلّل له ويحرّم من أمر الزواج، وذلك بسبب انتقال بعض العوامل الوراثيّة والمناعيّة من حليب المرضعة إلى جسد الرضيع واندماجها مع سلاسل الموروثات في داخل خلاياه.

وهذه الحقيقة التي أثبتتها الدّراسات المختبريّة أخيراً قد سبق بها كل من القرآن الكريم والسنة النبويّة المطهّرة من قبل ألف وأربعمائة من السنين، وذلك بتحريم الزواج بين الذين اشتركوا في الرّضاعة من امرأة واحدة خلال العامين الأولين من العمر، واعتبرهم الشّرع إخوة من الرّضاعة، كما اعتبر مرضعتهم أمّاً لهم بالرّضاعة تنسحب عليها كل حقوق الأمومة ماعدا الإرث، ويحرم من هذه الصلة ما تحرم الأمومة بالنّسب؛ لأن التقارب في الصفات الموروثة بين الزوجين يؤدّي إلى شيء من الاضطراب الذي ينحي بعض الصفات الإيجابيّة في المورثات أو يسود بعض الصفات السلبيّة مما يضر

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٢٣٩)، ومسلم برقم (١٤٤٤).

بالنَّسَل ضرراً بليغاً^(٧).

والذي نريد أن نصل إليه: أن القرآن الكريم حثَّ الأمَّ أن ترضع طفلها حولين كاملين ، ومن هذا يتبيَّن لنا أربعة أشياء :

- ١- أن رضاعة الأمَّ طفلها أفضل من رضاعة غيرها له.
- ٢- أن لبن الأمَّ أفضل من الألبان الأخرى (صناعية أو ألبان ماشية).
- ٣- أن أفضل مدَّة للرضاعة ستتان.
- ٤- أن تأثير اللَّبن في مكونات الطَّفل تكون في العامين الأولين فقط، ولا تأثير لِلبن بعد العامين.

(٧) ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾ ، د. زغلول النجار، مقال منشور بموقع: أنصار السنة، <http://www.ansarsunna.com>

المبحث الثاني

اعترافات الغرب بضرورة الرّضاعة الطّبيعيّة

العلاقة بين الأم وطفلها تبدأ من فترة ما قبل الحمل مرورًا بفترة الحمل ثم الولادة، هذه العلاقة تتضمن تفاعلًا نفسيًا وجسميًا، تلعب فيه الهرمونات دورًا هامًا وكذلك اتجاهات الأم نحو طفلها، وتنعكس محصّلة هذا كله على موقف التغذية، ولاشكّ أن بعض أساليب التغذية تكون أفضل من بعضها الآخر وأكثر ضمانًا لحصول الطّفل على أوجه الاستمتاع المرتبطة بخبرات التغذية. إذ قد تفضّل الرّضاعة الطّبيعيّة الرّضاعة الصناعيّة؛ لأنها تضاعف الجوانب الممتعة في موقف التغذية كما أنها تساعد على تقويّة الروابط بين الأم والطّفل؛ ففي الرّضاعة الطّبيعيّة تتمكّن الأم من حمل الطّفل بحيث يكون أقرب ما يكون إليها، وتمنحه بذلك مشاعر المساندة والاسترخاء والتّنبيه اللّمسيّ والرّاحة.

وإليك النقاط التّاليّة حول أهميّة الرضاعة الطّبيعيّة :

١ - أظهر العلماء - ولأول مرة - كيفيّة نشوء ما أسموه بهرمون "الثّقة" في أدمغة الأمّهات المرضعات عند إرضاع صغارهن؛ وقالوا : بأن الرضيع عندما يبدأ في مصّ الحليب من ثديي أمه، تنطلق سلسلة متصلة من العمليات في دماغ الأم تؤدي إلى نشوء هرمون الثّقة وقالوا إن هذا الهرمون والمسمّى "أوكسيتوسين" يساعد على تعزيز الرابطة بين الأم والرضيع من خلال الثّقة التي تنشأ بين الطرفين، ويؤدّي هرمون "أوكسيتوسين" أيضًا إلى حدوث انقباضات خلال أوجاع المخاض ويتسبّب في "انسكاب" الحليب

من الغدد الثديية.

ولقد ذكرت الرضاعة في القرآن الكريم في أكثر من موضع، كما في قوله ﷺ: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ إِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمَّ الرِّضَاعَةُ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. فهنا إشارة إلى أهمية الرضاعة التي تعتبر وصلاً لعاطفة ربانية بين الأم ورضيعها، وهي البيئة الخصبة لبذر أرق المشاعر وأغلاها لدى المرأة تجاه صغيرها.

وأنسب مدة للرضاعة الطبيعية كي تؤدي النفع التام لصحة الطفل ونموه البدني والنفسي هي كما حددها الله ﷻ حولين كاملين إن لم يكن هناك مانع قوي مثل مرض الأم مثلاً.

٢- ثبت أن الطفل الذي يرضع من أمه ينمو نمواً نفسياً سليماً، بينما تكثر الأمراض والعلل النفسية لدى أولئك الذين يرضعون من القارورة؛ لأن الرضاعة الطبيعية هي عملية نمو جسمي ونفسي، ولها أثر بعيد في التكوين الجسدي والانفعالي والاجتماعي للرضيع.

فالألحظات التي تجمع الأم برضيعها، ويقترب من صدرها لدرجة الالتصاق ليستمع إلى دقات قلبها، ويشعره ذلك بالاطمئنان؛ لأنه اعتاد على سماعها، وهو في بطن أمه، فيتولد لديه شعور بالأمان والسكينة بمجرد ضم أمه له، وهذه الأوقات تُعدُّ موسم إنبات بذور الحب بين الأم ورضيعها، وعلى الأم استثمار هذه الأوقات في زيادة التأثير الإيجابي لعملية الرضاعة، بحيث لا تكتفي على إقامه ثديها ليتغذى فقط، بل عليها أن تطيب نفسها وتهدي مشاعرها إن كانت منفصلة من شيء ما، فلا استقرار النفسي للأم هأم جداً؛ لأنه يترك أثره في حليب الطفل.

٣- واليوم تنادى أوروبا بذلك كما جاء في بحث " عَاجِلِي طِفْلِكَ
بالرَّضاعة الطَّبيعيَّة "، وفيه حاول الباحث إثبات مدى أهميَّة الرِّضاعة
الطَّبيعيَّة عند الأوروبيين، واعتَرافهم بأهميَّتها بعد إعراضهم الطويل عنها،
وفيه كثير من الدِّراسات العلميَّة التي تثبت ما نحن بصددده من اعتراف
الغربيين بهذا المبدأ الإسلامي.

٤- يرى العلماء أنه من الخطأ إبعاد الطِّفل عن أمه بعد الولادة؛ لأن وضع
الطِّفل بالقرب منها يدفعه إلى التوجُّه نحو ثديها بالفطرة الطَّبيعيَّة؛ وأوصت
الأكاديميَّة الأمريكيَّة لطب الأطفال والأكاديميَّة الأمريكيَّة لطب النساء
والتوليد بضرورة الإرضاع الطَّبيعي للطفل لمُدَّة سنة على الأقل، وتشجع
عليه لفوائده الصَّحيَّة على الأم والطِّفل في الوقت نفسه، ويذكر أن الرِّضاعة
الطَّبيعيَّة تعطي الطِّفل تغذية مثاليَّة خلال الأشهر الأولى الحرجة من الحياة،
بالإضافة إلى إمدادها الجسم بالمناعة الضروريَّة ضد أمراض قاتلة كذات
الرئة، ولهذا فمن الضروري أن يحصل الأطفال على رضاعة طَّبيعيَّة خالصة
منذ ولادتهم، وحتى تصبح أعمارهم ستَّة أشهر، وبعد ذلك تدعَّم الرِّضاعة
الطَّبيعيَّة بغذاء مكمل يناسب أعمارهم.

٥- ويقول علماء بريطانيون: إن تدني نسبة اعتماد الرِّضاعة الطَّبيعيَّة في
بريطانيا ينطوي على انتشار أمراض خطيرة بين الأطفال، فعلى سبيل المثال
يصاب الأطفال الذين لا يرضعون حليب الأم الطَّبيعي بأمراض التهاب
الأمعاء أكثر من أقرانهم الذين يحصلون على رضاعة طَّبيعيَّة .

وقد أصدرت الحكومة البريطانيَّة إرشادات توضح أهميَّة الرِّضاعة
الطَّبيعيَّة في أول ستة أشهر من عمر الرضيع، وذلك في بداية أسبوع قومي
للتوعية بالرِّضاعة الطَّبيعيَّة في بريطانيا، واهتمت بي بي سي نيوز أون لاين

بالصُّعوبات التي يمكن أن تواجه النساء في الرَّضاعة الطبيعيَّة.

٦- تشير (بليندا فيبس)-رئيسة صندوق الإنجاب والطفولة البريطاني:-

إلى أن واحدة فقط من كل خمس أمَّهات بريطانيات يحرصن على إرضاع أطفالهن بعد الشَّهر السادس، ونحن ندرك أن هناك الكثير منهن يوقفن الرَّضاعة قبل انتهاء هذه الفترة ، ودعت إلى ضرورة التراجع عن النزعة السائدة في إرضاع الأطفال من الرَّضَّاعات الاصطناعيَّة، وطالبت بالعودة إلى طريقة الرَّضاعة الطبيعيَّة لأطول فترة ممكنة .

٧- يقول الأخصائي البروفيسور (فاليري بيرال) : معروف بين الأوساط العلميَّة، ومنذ زمن طويل، أن سرطان الثدي شائع في الحالات التي تنجب فيها المرأة عددًا أقلَّ من الأطفال، وترضعهم لفترات قصيرة، ويؤكد أن الأبحاث تظهر أن هذه العوامل وحدها هي التي تقف وراء ارتفاع معدلات الإصابة بهذا النوع من الأمراض السرطانيَّة، وهو من أكثر السرطانات شيوعًا بين نساء الغرب، وأضاف أن كل سنة إرضاع تمر بها الأم تقلَّص من نسب تعرضها لسرطان الثدي بنحو ٤.٣٪ .

فما أروع الإسلام الذي حثَّنا على الزواج وإنجاب الأولاد وإرضاعهن حولين كاملين، فالغرب وعلى الرغم من تطوره الطبي المذهل إلا أنه يعود لمبادئ الإسلام، فبعد الدعاية الكبيرة التي تغنى بها الغرب لسنوات طويلة وهو يشجع الإرضاع الاصطناعي أو الحليب المجفَّف ولفترة قصيرة، نجده اليوم يصرخ ويطالب بالعودة للإرضاع الطبيعي، ويؤكد حرصه على ضرورة الاستمرار في الرَّضاعة الطبيعيَّة لمُدَّة سنتين كاملتين.

٨- أشارت إحدى الدِّراسات التي نشرت في العدد الأخير من مجلة

، The Journal of The American Medical Association

أنه كلما طالت فترة الرّضاعة كلما نقصت فرص التعرّض للإصابة بالسُّكّري وقد أشارت (أليسون ستوب) الباحثة في طب الأسرة بمستشفى بوسطن بريغهام إلى أن كل سنة إرضاع تنقص من نسبة الإصابة خلال ١٥ سنة التالية بمقدار ١٥ في المائة، وبالتالي نجد أن الأم لطفلين يمكن أن تقلل من نسبة إصابتها بالداء السُّكّري ما يعادل الثلث من خلال اتباع نصيحة الطبيب بإرضاع كل طفل طبيعياً لمدة سنة على الأقل.

٩- أجرى باحثون أوروبيون دراسة على نحو ثلاث مائة وخمسين طفلاً تتراوح أعمارهم بين ثلاثة عشر شهراً وخمس سنوات لمعرفة الفترة التي حصلوا خلالها على رضاعة طبيعيّة وعلاقتها بمستويات الذكاء والقدرة على التحصيل، وأظهرت الدّراسة أن الأطفال الذين حصلوا على رضاعة طبيعيّة لمدة تقل عن ثلاثة أشهر كانوا عرضة لانخفاض مستوى الذكاء إلى أدنى من المتوسط عن الأطفال الذين حصلوا على رضاعة طبيعيّة لمدة ستة أشهر أو أكثر.

ويضيف أن السبب قد يعود إلى قوة الرابطة التي تمنحها الرّضاعة الطبيعيّة بين الأم والطفّل، أو ما يحتويه لبن الأم من مواد مغذية ضروريّة للنمو، ويشير إلى احتمالات أن تكون تلك الأحماض هي السبب وراء زيادة فعاليّة الغذاء اللازم لنمو الطّفّل.

وهنا نقف خاضعين أمام قوله ﷺ: ﴿اللَّهُ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزّمر] فهو عز وجل الذي هيّا للأم هذا الحليب الصافي السائغ وليست الطبيعة.

١٠- وجد فريق من الباحثين بالمركز الطبي لمستشفى الأطفال في سيسيناتي بأمريكا أن هناك علاقة بين مستوى البروتينات والإصابة بالسّمنة،

ويعتقد الباحثون أن احتواء حليب الأم على نسب عالية من هذا النوع من البروتينات قد يؤثر على إصابة الشخص بالسمنة في وقت لاحق من حياته. واكتشفت الدكتورة (ليزا مارتين) وزملاؤها احتواء حليب الأم على مستويات عالية من البروتينات التي تنتجها الخلايا المسؤولة عن تنظيم عمليات الأيض في الجسم، والمعروفة باسم "اديبونيكيتين".

وتقوم الخلايا الدهنية بإفراز هذا النوع من البروتينات التي تؤثر على كيفية معالجة الجسم للمواد السكرية في الدم، وهناك علاقة بين انخفاض مستوى هذا البروتين والإصابة بالسمنة المفرطة، إضافة إلى النوع الثاني من مرض السكري ومقاومة الأنسولين وأمراض الشرايين التاجية، وهناك علاقة عكسية بين مستوى هذا النوع من البروتينات وخطر الإصابة بالأمراض؛ حيث إن ارتفاع مستويات هذه البروتينات يرتبط بانخفاض معدل الإصابة بالمرض.

١١- ينادي العلماء اليوم بضرورة الابتعاد عن زجاجات الحليب المجفف ويؤكدون وجود علاقة بين السمنة الزائدة وبين التغذية غير الطبيعية للطفل. وتقول روزميري دودز، من جمعية الولادة الوطنية: إن الجمعية حريصة على دعم الرضاعة الطبيعية، وإننا نؤيد النساء في أخذ قرار بأن الرضاعة الطبيعية هي الأفضل لهن، ويقول الدكتور مارتين: إن مستوى البروتينات خلال فترة النمو في المراحل المبكرة ربما يكون له تأثير على الإصابة بالأمراض لاحقاً في فترة الشباب. ويقول الدكتور (إيان كامبل)، رئيس منتدى السمنة القومي: نعرف أن هناك علاقة بين الرضاعة الطبيعية وانخفاض خطر الإصابة بالسمنة، لكننا لسنا متأكدين من السبب، إن خطر الإصابة بالسمنة المفرطة يقل مع زيادة مدة الرضاعة الطبيعية، وهذا تأثير تراكمي، فكلما طالت مدة تناول حليب الأم كلما تحسنت الحالة.

١٢- توصل بحث علمي جديد إلى أن الرّضاعة الطّبيعيّة قد تحمي الطّفل من وفاة المهد، ومع أن دور الرّضاعة الطّبيعيّة لم يعرف بعد، لكن الاعتقاد يتركز على أن الاتصال القريب بين الأم والطّفل هو العامل الرئيس، فالرّضاعة الطّبيعيّة لفترة أربعة أشهر على الأقل لها علاقة بالحدّ من مخاطر وفاة الأطفال المفاجئة.

* لماذا هذا الإعجاز ؟

أ- لأن لبن الوالدة معقم تعقيمًا رباّنيًا، ولذلك فهو خالٍ تمامًا من الميكروبات والفيروسات ومن غيرها من مسبّات الأمراض، خاصّة إذا كانت الوالدة من صاحبات الأيدي المتوضّئة والمحفّظات على طهارة البدن والثياب والمكان، والحريصات على سلامة فلذات أكبادهن.

هذا بالإضافة إلى أن هذا اللّبن الفطري جاهز للرضيع في كل زمان ومكان ودائم الطازجة، والوجود في درجة حرارة توائم المناخ المحيط به صيفا وشتاء.

ب- في لبن الوالدة من المضادات الحيويّة النوعيّة ومن مقويات جهاز المناعة ما يحمي الرضيع من كثير من الأمراض خاصّة أمراض الحساسيّة، والإسهال، والنزيف المعوي، والمغص، وغيرها، وعلى ذلك فهو أفضل غذاء للوليد حتى تمام السنتين من عمره، وإن كان بإمكان الأم إضافة قدر ملائم من الطعام المناسب ابتداء من الشهر السادس من عمر الوليد.

ج- الرّضاعة تساعد في تنشيط إفرازات الغدد المختلفة في جسد الأم مما يعين على استقرارها النفسي والجسدي، وعلى وقف نزيف ما بعد الولادة برجوع الرحم إلى حجمه الطّبيعي، هذا بالإضافة إلى أن الهرمونات المسؤولة عن إدراج اللّبن هي المسؤولة عن عمليّة تثبيط عمليّة التبويض، حتى لا تحمل الأم وهي لا تزال ترضع، لما في ذلك من أخطار صحيّة عليها وعلى رضيعها، كما يريحها ذلك

من آلام الطمث وهي في مرحلة الإرضاع، وفوق ذلك كله لوحظ أن الوالدات المرضعات هن أقل إصابة بالأورام السرطانية - خاصة في الصدر وفي المبيضين - عن كل من غير المرضعات وغير الوالدات وغير المتزوجات.

د- لأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الرضاعة من منتجات الألبان الحيوانية المصنعة وغير المصنعة - خاصة لبن الأبقار - وبين انتشار مرض الداء السكري بين الأطفال الرضع، وانعدام ذلك في حالات الرضاعة الطبيعية من الوالدة، وكان تعليل ذلك أن البروتين الموجود في لبن الأبقار يؤدي إلى تكوين أجسام مناعية مضادة في دم الرضع دون العامين؛ لأن إنزيمات الهضم عندهم لا تستطيع تكسير البروتينات المعقدة في ألبان الأبقار، وأن هذه الأجسام المناعية تقوم بتدمير أعداد من الخلايا المهمة في بنكرياس الرضيع من مثل الخلايا التي تقوم بإفراز مادة الأنسولين.

ولكن بعد تجاوز العام الثاني من عمر الوليد فإن تناوله للبن الأبقار لا يسبب تكون مثل هذه الأجسام المناعية المضادة، ويفسر ذلك باكتمال نمو الغشاء المخاطي المبطن للجهاز الهضمي عند الوليد والذي لا يتم اكتماله إلا بعد عامين كاملين من عمره، فتستطيع إنزيمات الهضم عنده تكسير البروتينات المعقدة في ألبان الحيوانات، فلا تتكون أجسام مناعية مضادة لها، وهنا تتضح ومضة الإعجاز العلمي والطبي في قول ربنا ﷻ ﴿وَأُولَادُكُمْ يُرَضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾.

هـ- ولأن ألبان الأنعام خاصة ألبان الأبقار تحتوي على عدد من الأحماض الأمينية تزيد بثلاثة إلى أربعة الأمثال على ما في لبن الأم، مما قد يؤدي إلى ارتفاع نسبة تلك الأحماض في دم الرضيع فيعرضه للإصابة ببعض الإعاقات

الذهنيّة، ويؤدّي إلى رفع نسب وفيات الرضع الذين يتغذون أساساً على
الألبان الحيوانيّة غير المصنّعة والمصنّعة^(٨).

* وماذا بعد ؟

إن النتائج السابقة تزيدنا حبّاً لهذا الدّين وثقة و يقيناً بما جاء به سيد البشر
عليه الصلاة والسلام؛ فقد أكد النبي على أهميّة الرّضاعة الطّبيعيّة قبل علماء
الغرب بأربعة عشر قرناً لدرجة أنه حرّم الأم التي ترضع طفلاً وجعل أولادها
إخوة له، أليس هذا اهتماماً بالغاً من النبي الكريم بالرّضاعة الطّبيعيّة؟

ثم إن الله ﷻ عندما أمر الأمّهات أن يرضعن أولادهن عامين كاملين،
أليس فيه مصلحة للأم المرضع وللطفل على حدّ سواء ؟

وسؤالنا: لماذا لا نفتخر بهذا الدّين الرائع؟! ولماذا نلجأ إلى غيره وقد وفّر الله
علينا عناء البحث والدّراسة، وأخبرنا بالمدة المثاليّة للإرضاع وهي ستتان فقال :

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ حتى في حال حدوث نزاع أو
مشكلة لم يأمرنا الله باللّجوء إلى الرّضاعة بحليب البقر مثلاً، بل بمرضعة

أخرى غير أمه، يقول ﷻ: ﴿وَإِنْ تَعَاَسَ رِثَمٌ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ [الطلاق].

ومن هذا يتبيّن لنا أن حرص الأم على رضاعة ولدها من ثديها من مبادئ
الإسلام التي حثّنا على اتّباعها، وأمرنا بالحفاظ عليها، ويدلّ على أن الله تعالى
لا يأمرنا إلا بكل خير نافع للفرد والمجتمع .

(٨) الإنسان من الميلاد إلى البعث في القرآن الكريم، د. زغلول النجار، دار المعرفة، بيروت،
ط ٢، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، ص ٥١ : ٥٨.